المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

موقف أهل الكتاب والمنافقين من الدعوة والدعاة

إعداد
د. محمد بن سليمان البراك

١٤٣١هـ

ملخص البحث:
بين البحث أصناف الناس وذكر التناغم الواضح بين أهل الكفر والمنافقين، وبين كيد أهل الكتاب للدعاة بالرغم من معرفتهم اليقينية بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، كما تناول الحديث عن مكائد أهل الكتاب في العصر الحديث، وهذا يدل على استمرار الكيد والمكر وإثارة الخلاف بين الدعاة، كما بين البحث أنواع النفاق سواء أكان اعتقاديًا أم عمليًا، ثم بين خطره على المستوى الشخصي والجماعي، مستهلًا الحديث عن أثره بما كان عليه المنافقون مع النبي صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة، وما سلكه هؤلاء على مر التاريخ لسبل استطاعوا من خلالها تحقيق بعض مآربهم، ومنها:
١ ـ اختلاق الأراجيف لصرف الدعاة عن مهامهم الأصلية.

٢ ـ استغلال الأخطاء التي يحتملها كلام الدعاة أو فعلهم.

الكلمات الدالة:

موقف-أهل الكتاب-المنافقين-الدعوة-الدعاة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد بين الله تعالى أن أعداء الدين من أهل الكتاب والمنافقين، بينهم إخاء ومودة وموالاة وتعاون، قال تعالى: {ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون}[١]

وبين الله تعالى أن هؤلاء الأعداء لا يألون كيدا للإسلام وصدا عن سبيله قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيت إن كنتم تعقلون * ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور * إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط [٢]

ومنذ مبعث النبي ﷺ و الإسلام يواجه عداوات شتى من أصناف متعددة ، يتفقون على عداوتهم للدين وكيدهم لأهله، بل ويتناسون خلافاتهم من أجل حربهم التي يخوضونها ضد أهل الحق .

ومن أخطر الأصناف التي واجهها المسلمون منذ فجر الإسلام، عداوة المنافقين وأهل الكتاب الذين ما فتئوا يحيكون المؤامرات تلو المؤامرات لمحاربة الدعوة والدعاة إلى الله تعالى، حسدا من عند أنفسهم للمؤمنين ، ورغبة في الصد عن سبيل الله ، ومحاولة دائبة لإذهاب ريح المؤمنين.

وسوف أتحدث في هذا البحث عن شيء من كيد هاتين الفئتين للدعوة إلى الله تعالى، وسأبين أن كيدهم متواصل يقتفي فيه خلفُهم آثار سلفَهم.

وسيشتمل هذا البحث على تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة

---

[١] – الحشر ١١

[٢] – آل عمران ١١٨– ١٢٠

المبحث الأول: تحدثت فيه عن كيد أهل الكتاب للدعاة إلى الله تعالى في عصر النبوة وما قاموا به من مؤمرات غايتها الكيد للدين وأهله وصد الناس عنه

ثم تحدثت في المبحث الثاني عن شيء من مؤامراتهم في العصر الحديث ، مما يدل على تشابه قلوبهم واتحاد مواقفهم وإن باعد بينهم الزمان والمكان يدل على ذلك قول الله تعالى : ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم.

ثم تحدثت في المبحث الثالث عن كيد المنافقين للدعاة إلى الله وما قاموا به من أفعال داخل الصف الإسلامي مستغلين انتسابهم ظاهرا للدين واغترار بعض المسلمين بظاهرهم مما مكنهم من شق الصف ومحاولة الإفساد من الداخل.

ثم الخاتمة التي بينت فيها خلاصة البحث وأهم التوصيات .

وأسأل الله وحده وهو خير مسئول، أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ومن سار على دربه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

تمهيد:

قسم الله الناس في صدر سورة البقرة إلى ثلاث طوائف.

– طائفة آمنت بالقرآن ظاهرا وباطنا وذكر الصفات الكاشفة لها ثم أعطاها الحكم الذي تستحقه.

– ثم ذكر الطائفة الثانية وهي التي كفرت بالقرآن ظاهرا وباطنا، وبين الصفات الكاشفة لها، ثم أعطاها الحكم الذي تستحقه.

– ثم ذكر الطائفة الثالثة وهي التي آمنت بالقرآن ظاهرا وكفرت به باطنا، وبين الصفات الكاشفة لها وأعطاها الحكم الذي تستحقه.

وفي ثنايا كتاب الله عز وجل جاء ذكر المزيد من أوصاف وأفعال هذه الطوائف.

ولما كانت الطائفتان الثانية والثالثة تجمعهما صفات مشتركة، منها عدم الإيمان بالله تعالى، والتكذيب لنبيه ﷺ فقد كانت علاقتهما بالطائفة الأولى مبنية على العداوة والكيد والمكر، والتحالف والتآخي فيما بينهما للإيقاع بالطائفة الأولى، قال تعالى:{ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون}(١).

يقول الأستاذ سيد قطب: وأول لفتة هي تقرير القرابة بين المنافقين والذين كفروا من أهل الكتاب، فأهل الكتاب هؤلاء كفروا والمنافقون إخوانهم ولو أنهم يلبسون رداء الإسلام(٢).

وكذلك يتولونهم من دون المؤمنين، قال تعالى:{ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون}(٣).

وفي الصفحات التالية نماذج من القديم والحديث لكيد هؤلاء الأعداء الدائبة والمتنوعة لتفريق صف المؤمنين وإيقاع العداوة بينهم.

المبحث الأول: كيد أهل الكتاب للدعاة:

لم يمنع أهلَ الكتاب ما بأيديهم من العلم الذي ورثوه عن أنبيائهم والذي اشتمل على ذكر صفات نبي آخر الزمان التي يرونها تنطبق على النبي محمد ﷺ من تكذيبه وهم أعرف الناس

---

(١) سورة الحشر (١١)

(٢) في ظلال القرآن (٣٥٢٨/٦)،تأليف: سيد قطب . دار الشروق . ط (١٠) (١٤٠٢هـ)

(٣) سورة المجادلة (١٤)

بصدقه قال تعالى: {الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون}(١).

ومنعهم الحسدُ له ولأتباعه حتى عن الاعتراف بأقل مايجب عليهم له وهو الإقرار بأن دينه أفضل الأديان، فكانوا على العكس من ذلك فضلوا دين المشركين على دينه، قال تعالى:{ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا}(٢).

ولذلك ظاهر بنوقريظة المشركين في غزوة الأحزاب للقضاء على الإسلام والمسلمين.

ومنذ بزوغ شمس الإسلام وأعداؤه من مشركين وأهل كتاب ومنافقين يكيدون له المكائد ويتربصون بأتباعه الدوائر يريدون أن يطفؤا نور الله، تأججت نار الحقد والبغضاء في قلوبهم لأهل الإيمان، ولا أدل على ذلك وأصدق في بيان شدة العداوة من قوله تعالى:{لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا}(٣)الآية.

الإصرار على العداوة:

ومكائد اليهود والنصارى وعداوتهم لهذه الأمة مستمرة لا تنقطع منذ بعثة النبيﷺ إلى أن يأتي أمر الله، لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل يقول تعالى: {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم}(٤).

فالحرب دائمة والمكائد مستمرة مادام المسلمون مباينين لطريق اليهود والنصارى، ثابتين على دينهم متمسكين به.

يقول صاحب الظلال: وسيظل اليهود والنصارى يحاربونك ويكيدون لك ولا يسالمونك ولا يرضون عنك إلا أن تحيد عن هذا الأمر، وإلا أن تترك هذا الحق إلى ما هم فيه من ضلال وشرك وسوء تصور، وليس الذي ينقصهم هو الاقتناع بأنك على الحق وأن الذي جاءك من ربك الحق، ولو قدمت إليهم ما قدمت، ولو توددت إليهم ما توددت، لن يرضيهم من هذا كله شيء إلا أن تتبع ملتهم وتترك ما معك من الحق.

---

(١) سورة البقرة (١٤٦)

(٢) سورة النساء (٥١)

(٣) سورة المائدة (٨٢)

(٤) سورة البقرة (١٢٠)

أما سبب هذه العداوة وعقدتها الدائمة فهي العقيدة، هذه حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة، إنها معركة العقيدة المتقدة دائما بين المعسكر الإسلامي، وهذين المعسكرين، اللذين قد يختلفان ويتنازعان فيما بينهما، ولكنهما يلتقيان دائما في المعركة ضد الإسلام والمسلمين(١).

ومع أن عداوة هاتين الطائفتين شاملة لكل المؤمنين إلا أن نصيب الدعاة منها أكبر، باعتبارهم قادة الأمة وموجهيها إلى الخير، سعيا من هؤلاء الأعداء لإحباط جهود الدعاة وتنفير الناس عنهم.

لقد حرص هؤلاء الأعداء على اتخاذ كافة السبل واختلاق أنواع الحيل للتشكيك في نبي الإسلام وصد الناس عنه فتنوعت التهم التي وصموا بها النبي ﷺ مابين ساحر ومجنون وشاعر، مع أنهم يؤمنون في قرارة أنفسهم أنه صادق، قال تعالى:{قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون}(٢).

أما أهل الكتاب الذين كان الأولى لهم أن يبادروا لاتباع الحق وأن يرشدوا إليه غيرهم وذلك لما عندهم من العلم الذي يهديهم إلى الحق، فقد كانوا أشد عداوة وصدا عن الحق من غيرهم، حسدا من عند أنفسهم، قال تعالى: {الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون}(٣).

قال ابن كثير: يخبر تعالى أن العلماء من أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاء به الرسولﷺ كما يعرف أحدهم ولده، والعرب تضرب المثل في صحة الشئ بهذا، ثم أخبر تعالى أنهم مع هذا التحقق والإتقان العلمي ليكتمون الحق، أي ليكتمون الناس ما في كتبهم من صفة النبيﷺ وهم يعلمون(٤).

وساء أهلَ الكتاب تميزُ المؤمنين عليهم بالهداية فأضمروا لهم الحسد ورغبوا في رجوعهم إلى الكفر قال عز وجل:{ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق}(٥)الآية.

---

(١) انظر في ظلال القرآن (١/١٠٧، ١٠٨)

(٢) سورة الأنعام (٣٣)

(٣) سورة البقرة (١٤٦)

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم (١/ ١٩٤)

(٥) سورة البقرة (١٠٩)

يخبر تعالى عباده المؤمنين عن حال الكفار من أهل الكتاب ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم، وهذا الحسد الذي انطوت عليه نفوسهم هو الذي انبعثت منه دسائسهم وتدبيراتهم كلها ولا تزال(١).

أما مدى هذه العداوة ووقتها فهو متسع للزمان والمكان ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، ما دام المسلمون مقيمين على دينهم قال تعالى:{ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا}(٢) الآية.

فالإصرار الدائم على الكيد للمؤمنين متواصل لا ينقطع حتى يتحقق للكفار ما يريدون وهو رجوع المؤمنين عن دينهم فيكونون وإياهم في الكفر سواء.

روى ابن إسحاق(٣) بسنده عن صفية بنت حيي بن أخطب(٤) أنها قالت: كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي، حيي بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطب، مغلسين، قالت: فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى، قالت فهششت إليهما كما كنت أصنع، فو الله ما التفت إلي واحد منهما، مع ما بهما من الغم، قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال عداوته والله ما بقيت(٥).

ولم يأل ابن أخطب جهدا في حرب رسول اللهﷺ والكيد له، وهو نموذج لعداوة قومه يهود، فحين اجتمعت الأحزاب لحرب رسول الله ﷺ حرض حيي بن أخطب بني قريظة على نقض عهدهم مع رسول الله ﷺ وسعى عند رئيسهم كعب بن أسد وأعطاه عهد الله لئن رجعت قريش

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم (١/١٥٣) وفي ظلال القرآن (١/١٠٢)

(٢) سورة البقرة (٢١٧)

(٣) محمد بن اسحاق بن يسار، العلامة الحافظ، صاحب السيرة النبوية، ولد سنة ٨٠هـ. ورأى أنس بن مالك بالمدينة وسعيد بن المسيب، وكان ثقة علامة في المغازي، مات سنة ١٥٠هـ.انظر سير اعلام النبلاء (٧/٣٤،٣٣، ٣٧، ٥٥) تهذيب التهذيب (٥/٢٨.٣٠)

(٤) أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب، سباها النبيﷺ يوم خيبر ثم أعتقها ثم تزوجها، وقد جعل عتقها صداقها، روت عن النبي ﷺ كانت شريفة عاقلة، ماتت سنة ٥٠هـ انظر سير أعلام النبلاء (٢/٢٣١-٢٣٢) و الإصابة (٧/٧٣٨-٧٤٢) وتهذيب التهذيب (٦/٦٠١)

(٥) السيرة النبوية لابن هشام (/١٨٨-١٨٩) مكتبة المنار، الطبعة الأولى (١٤٠٩) هـ وروى هذا الأثر البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن إسحاق (٢/ ٥٣٣) ورواه أبو نعيم أيضا في الدلائل من طريق ابن إسحاق ص(١٧)

وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك، حتى نقض كعبٌ عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول اللهﷺ.

ولما انتهى الأمر برجوع قريش وغطفان عن المدينة ونزول بني قريظة على حكم سعد بن معاذ(١) فحكم بقتل الرجال وقسمة الأموال وسبي الذراري والنساء، أُتي بحيي بن أخطب مجموعة يداه إلى عنقه بحبل فنظر إلى رسول الله ﷺ وقال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل اللهُ يُخذل، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه(٢).

(١) سعد بن معاذ بن النعمان، سيد الأوس، أسلم على يد مصعب بن عمير، شهد بدرا وأحدا، ورمي بسهم يوم الخندق، عاش بعد ذلك شهرا ثم مات سنة ٥ هـ انظر سير أعلام النبلاء (٢٧٩/١، ٢٨٠) والإصابة (٨٤/٣ـ٨٥)و تهذيب التهذيب (٢٨٣/٢)

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٣٠٨/٣)وما بعدها

صور من مكائد أهل الكتاب للمؤمنين:

١- تشكيك المؤمنين بدينهم:

من المكائد التي كادها أهل الكتاب للمؤمنين والتي اكتوى بسببها المؤمنون في عهد النبوة سعيهم لتشكيك المؤمنين بدينهم رغبة في صدهم عنه حيث إنهم أهل كتاب عندهم من العلم ما ليس عند غيرهم، وفي ما لديهم من العلم الموروث عن أنبيائهم، صفات نبي آخر الزمان، وقولهم قد يغتر به بعض الناس، وربما تابعوهم، ظنا منهم أن ما يقولونه حقا، وبدلا من أن يكونوا أول الناس مبادرة لاتباعه سعوا في استغلال ظن الناس الحسن فيهم، في الصد عن الحق، والتلبيس على الناس قال تعالى:{وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون}(١).

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي حول تفسير هذه الآية: فقالت طائفة منهم {آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ} أي أوله وارجعوا عن دينهم آخر النهار، فإنهم إذا رأوكم راجعين وهم يعتقدون فيكم العلم استرابوا بدينهم، وقالوا لولا أنهم رأوا فيه ما لا يعجبهم، ولا يوافق الكتب السابقة لم يرجعوا(٢).

وهذا لون من الكيد يناسب فترة معينة، حيث كان بعض المسلمين حديثي عهد بجاهلية ويهمهم موافقة أهل الكتاب لهم وثناؤهم على دينهم ودخولهم فيه، ويسؤهم كثيرا أن يخرجوا منه بعد أن دخلوا فيه، وربما فسر بعض الناس هذا التصرف بأن رجوع أهل الكتاب مبني على علم ورثوه عن أنبيائهم يدل على عدم موافقة ماجاء به هذا النبي لما في الكتب المتقدمة من أوصاف نبي آخر الزمان الذي ينتظر أهل الكتاب بعثته ويعِدون أعداءهم من عبدة الأوثان بمتابعته ومقاتلتهم معه.

ولم يلبث هذا الكيد أن تلاشى خطره حيث أدرك المؤمنون دوافع أهل الكتاب من هذا التصرف فلم يعد يشكل خطرا على ثقة المسلمين بدينهم لذلك قلما يتكرر نظير هذا الفعل، فاتخذ هذا الكيد مظهرا آخر قام به المستشرقون قديما وحديثا، فدرسوا الإسلام ولم يكن الدافع لهذه الدراسة الرغبة في العلم والبحث عن الحق، وإنما لصد قومهم عن الدخول فيه، وتشكيك المسلم الذي يقرأ ماكتبوه من معلومات مشوهة عن الإسلام بدينه، أو تبنيه لبعض

---

(١) سورة آل عمران (٧٢)

(٢) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣٩١/١)

أفكارهم المنحرفة التي يخالفه في فهمها بقية المسلمين مما يؤدي في النهاية إلى النزاع والاختلاف.

٢- إثارة النعرات الجاهلية:

وجد أهل الكتاب في النعرات الجاهلية التي كانت بين الأوس والخزرج قبل أن يؤلف بينهم الإسلام وتجمعهم أخوَّة الدين، وسيلة مؤثرة في تفريق صف المؤمنين فعملوا على إثارة هذه النعرات.

قال ابن إسحاق: مر شاس بن قيس وكان شيخا عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم، على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جَمَعهم يتحدثون فيه، فساءه ما هم عليه من الاتفاق والألفة وصلاح ذات البين فأتى فتى شابا من يهود وقال: اعمد إليهم فاجلس معهم وذكرهم ما كان من حروبهم يوم بعاث، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، ففعل، فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوس القوم وغضب بعضهم على بعض وتثاوروا ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم وتواعدوا إلى الحرة فبلغ ذلك النبي ﷺ، فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول: أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد عدوهم، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا(١).

٣- التربص بالمؤمنين:

من مكائد أهل الكتاب للدعوة في عهد النبوة: سعيهم لاستغلال الفرص للتفريق بين النبي ﷺ وأصحابه، ومن ذلك أنه لما تخلف كعب بن مالك(٢) عن الخروج مع النبي ﷺ إلى تبوك وأمر النبيُ ﷺ الناس بهجره، بادر ملك غسان إلى الطلب من كعب أن يلحق به، يقول كعب وهو يحكي ما جرى له حين هجره المسلمون: فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك غسان فإذا فيه أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك، فقلت: هذا أيضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها(٣) الحديث.

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم (٣٨٩/١) والسيرة النبوية لابن هشام (٢٣٣/٢. ٢٣٤. ٢٣٥)

(٢) كعب بن مالك بن أبي كعب، أبو عبد الله الأنصاري، شاعر رسول الله وصاحبه، شهد العقبة، وتخلف عن بدر وشهد أحدا وما بعدها وتخلف عن تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم. مات سنة ٥٠هـ وقيل ٥١هـ. انظر سير أعلام النبلاء(٥٢٣/٢.٥٢٦) وتهذيب التهذيب (٥٩٦/٤)

(٣) رواه والبخاري واللفظ له، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، وقول الله تعالى(وعلى الثلاثة الذين خلفوا) رقم

ومكاتبة ملك غسان لكعب بن مالك يستدعيه إليه حين علم بهجر النبي ﷺ له، تدل على الرغبة الأكيدة لديه في التفريق بين المؤمنين واستغلال الفرصة التي يرى أنها سنحت لجذب واحد من المسلمين إلى صفه، صدرت من عدو متربص بأهل ملة الإسلام يغتنم الفرص لإضعافهم والنيل منهم، لا يتوانى في بذل ما يستطيع من أجل تحقيق هذا الهدف ما أمكنه ذلك.

يقول الإمام ابن القيم: وفي مكاتبة ملك غسان له بالمصير إليه ابتلاء من الله تعالى، وامتحان لإيمانه ومحبته لله ورسوله، وإظهار للصحابة أنه ليس ممن ضعف إيمانه بهجر النبي ﷺ والمسلمين له، ولا هو ممن تحمله الرغبة في الجاه والملك مع هجران الرسول ﷺ والمؤمنين له على مفارقة دينه، وكانت غسان إذ ذاك . وهم ملوك عرب الشام . حربا لرسول الله ﷺ وكانوا يُنْعِلُونَ خيولهم لمحاربته(١).

وبعد وفاة النبي ﷺ تواصلت جهود أهل الكتاب في التفريق بين المؤمنين مرورا بمقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وتوجه أصابع الاتهام لأهل الكتاب وما لهم من دور في حياكة خيوط هذه الجريمة، وقد كان قتله الباب الذي انكسر فولجت منه الفتن إلى هذه الأمة، كما جاء في حديث حذيفة الذي رواه الشيخان وغيرهما قال: كنا جلوسا عند عمر ﷺ فقال أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة قلت: أنا كما قاله قال: إنك عليه أو عليها لجريء قلت: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي قال: ليس هذا أريد ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها بابا مغلقا قال أيكسر أم يفتح قال: يكسر قال: إذا لايغلق أبدا قلنا: أكان عمر يعلم الباب قال: نعم كما أن دون الغد الليلة إني حدثته حديثا ليس بالأغاليط، فهبنا أن نسأل حذيفة فأمرنا مسروقا(٢) فسأله فقال: الباب عمر(٣)

الحديث (٤٤١٨) ومسلم،كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، رقم الحديث (٢٧٦٩) والإمام أحمد (٤٥٦/٣)

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٥٨١/٣) للإمام ابن القيم الجوزية ت . شعيب الأرناؤط.ط(٢٦) ١٤١٢هـ مؤسسة الرسالة.

(٢) الإمام القدوة، مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الهمداني الوادعي، أبو عائشة، من كبار التابعين، روى عن أبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود، شلت يده يوم القادسية، يقال شهد صفين، وقيل شهد قتال الحرورية مع علي، مات سنة ٦٣هـ انظر سير أعلام النبلاء (٦٣/٤-٦٤- ٦٧ - ٦٨) والإصابة (٢٩١/٦-٢٩٢)

(٣) رواه والبخاري واللفظ له، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة، رقم الحديث (٥٢٥) ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، وإنه يأرز بين المسجدين، رقم الحديث(١٤٤)والترمذي،كتاب الفتن، باب رقم(٧١) رقم الحديث (٢٢٥٨)وابن ماجة،كتاب الفتن،باب ما يكون من الفتن، رقم الحديث (٣٩٥٥) الإمام أحمد (٤٠١/٥و٤٠٥)

ثم بدور عبد الله بن سبأ اليهودي وما أحدثه من فتنة انتهت بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفانﷺ وما تمخض عن هذه الفتنة من أحداث جِسام التقى فيها المسلمون بسيوفهم في معركة الجمل ثم صفين، وانقسمت بسببها دولة الإسلام، وتعددت بسببها الآراء والأهواء.

ب – المبحث الثاني: مكائد أهل الكتاب في العصر الحديث:

أما في هذا العصر فحدث عن كيد أهل الكتاب من اليهود والنصارى ولاحرج، لقد برعوا في إحكام الخطط والمؤمرات، وساعدهم على نجاحها بُعدُ المسلمين عن تعاليم دينهم وعدم التزامهم ما يفرضه عليهم من أحكام تتعلق بمعاملة عدوهم، لقد غفل كثير من المسلمين عن تدبر قول الله تعالى: {يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين}(١)، فاستبدلوا بعداوتهم الواجبة صداقة ومودة واتخذوا منهم بطانة من دون المؤمنين، فلا عجب والحالة هكذا أن تنجح خططهم وتؤتي ثمارها المرة، فرقة وتنازعا بين المؤمنين.

أما الأمثلة على تواصل كيدهم واستمرار مؤامراتهم السرية والعلنية في التفريق بين الدعاة وإثارة الخلاف بينهم في هذا العصر فلا يحتاج البحث عن إثباتها إلى كبير عناء، لقد بلغ الضعف بالمسلمين مبلغا، أن كشف عدوهم عن نفسه وأعلن عداوته، وسطرت أقلام ساسته ومفكريه التوصيات اللازمة لتحقيق أهدافه دون خشية من أن يؤدي ذلك إلى إفاقة المسلمين من غفلتهم.

والنقول التالية من كلامهم تبين طرفا من خطط هؤلاء الأعداء التي وضعوها لتفريق صف الدعاة، وتبين الهدف المشترك لليهود والنصارى الذين يضعون خططا خاصة يقومون هم بتنفيذها، وأحيانا يتعاونون مع العلمانيين منافقي اليوم الذين يواصلون ما بدأه أسلافهم منافقوا الأمس.

١ – الصحوة الإسلامية في نظر مفكري الغرب:

يهتم الغرب في هذا الوقت اهتماما بالغا بالصحوة الإسلامية، ويحرص على معرفة أسباب هذه الصحوة، و لماذا يعود المسلمون في هذا الوقت إلى دينهم، وموضوع دراسات الشرق الأوسط في الغرب هو أبرز العناوين التي تجري تحتها عملية الرصد والتحليل للعالم الإسلامي.

ولا يكاد يختلف اثنان أن المسلمين يعيشون في هذا الوقت صحوة إسلامية في مختلف المجالات، والغرب أول من يدرك هذا الشيئ ويخشاه، لذا فإنه اتجه بكل إمكاناته وتقنياته المتاحة لدراسة هذه الظاهرة يحللها ويستنطقها بالتنبؤات عن المستقبل، ويضع الخطط المضادة ليقضي على هذه الصحوة، وتدفق سيل من الدراسات والمقالات والتحقيقات والمؤتمرات، تقف وراءه مئات الجامعات والمراكز والمعاهد والمؤسسات العلمية واللجان المتخصصة التي أنشأتها أو نشطتها وزارات الخارجية والدفاع وأجهزة الأمن القومي والاستخبارات، كما حرصت دول الغرب عامة والولايات المتحدة خاصة على إنشاء عشرات

---

(١) سورة المائدة (٥١)

المراكز في بعض البلاد الإسلامية تحت مسميات مختلفة لتتولى مهمة الرصد والفحص وجمع المعلومات مباشرة لتصب مباشرة في مراكز التخطيط والقرار.

إن معظم ما يكتب في الغرب عن الإسلام والمسلمين، خاصة عن الصحوة الإسلامية ليس من باب البحث العلمي النزيه، ولكنه عمل موجه، وكثير من الباحثين مجندون لتحقيق نفس الغايات التي تجند لها الجيوش.

وحينما يكتب المفكر الغربي عن أي ديانة من الديانات حتى وإن كانت موغلة في الخرافة والوثنية فإن ما يكتبه يتسم غالبا بالإنصاف، وربما ظهر من كتابته التعاطف مع أهل الملة التي يكتب عنها وتراه أحيانا يبحث عن المبررات لبعض الخرافات، لكن هذا الإنصاف والحياد سرعان ما يتبددان ولا يبقى منهما شيئ عند كثير منهم حين تكون الكتابة عن الإسلام.

يقول (لورمان دانييل) وهو أحد الباحثين الغربيين: رغم المحاولات الجدية المخلصة التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب المسيحيين من الإسلام فإنهم لم يتمكنوا أن يتجردوا كليا عنها كما قد يتوهمون(١).

إن معظم كتابات الغربيين عن الصحوة الإسلامية وجماعاتها تتسم بعدد من السلبيات منها:

١. تشويه العاملين للإسلام واتهامهم بشتى التهم.

٢. تصيد الأخطاء وتضخيمها وتعميمها.

٣. تخويف الحكومات الإسلامية من الإسلاميين وذلك للإيقاع بين الطرفين(٢).

يقول (البارون كارادي فو): أعتقد أن علينا أن نعمل جاهدين على تمزيق العالم الإسلامي وتحطيم وحدته الروحية مستخدمين من أجل هذه الغاية الانقسامات السياسية والعرقية، دعونا نمزق الإسلام، بل ونستخدم من أجل ذلك الفرق المنشقة والطرق الصوفية، وذلك كي نضعف الإسلام، لنجعله إلى الأبد عاجزا عن صحوة كبرى(٣).

والمتأمل لواقع الدعوة الإسلامية اليوم وما تعانيه من انقسام واختلاف يرى بصمات خطط الأعداء واضحة مما يعني أنها آتت ثمارها المرة وحققت كثيرا مما يرجوه هؤلاء الأعداء.

ومن الخطط التي وضعها المفكرون الغربيون والمتعاونون معهم من رجال المخابرات والسياسة لتنفيذ غاياتهم الدنيئة تجاه الدعوة الإسلامية وقادتها، التقرير الذي أعده (ريتشارد ب ميتشل)

---

(١) المستشرقون والإسلام ص (٥) د. عرفان عبد الحميد، المكتب الإسلامي، ط(٢)

(٢) انظر الأصولية في العالم العربي ص(٩-١٢) ريتشارد هرير دكمجيان . ترجمة عبد الوارث سعيد . دار الوفاء الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ النقل من كلام المترجم.

(٣) المرجع السابق ص (٨)

أحد كبار الجواسيس الأمريكان، وقدمه إلى المخابرات الأمريكية وينصح فيه بتنفيذ خطة وضعها لتصفية الحركات الإسلامية في البلاد الإسلامية، نقتطع منها ما له علاقة بالموضوع(١)

جاء في التقرير

من (ريتشارد ب ميتشل):

إلى رئيس هيئة الخدمة السرية بالمخابرات المركزية الأمريكية، بناء على ما أشرت إليه من تجمع المعلومات لديكم من عملائنا ومن تقارير المخابرات الإسرائيلية

بالنسبة للشخصيات الإسلامية القيادية التي تقرر التخلص منها فننصح باتباع ما يلي:

أ . تعيين من يمكن إغراؤهم بالوظائف العليا حيث يتم شغلهم بالمشروعات الإسلامية الفارغة المضمون وغيرها من الأعمال التي تستنفد جهدهم وذلك مع الإغداق عليهم أدبيا وماديا وتقديم تسهيلات كبيرة لذويهم، وبذلك يتم استهلاكهم محليا وفصلهم عن قواعدهم الجماهيرية.

ب . العمل على إيجاد فرص عمل وعقود مجزية في البلاد البترولية، الأمر الذي يؤدي إلى بعدهم عن النشاط الإسلامي.

ج . بالنسبة للعناصر الفعالة في أوربا وأمريكا نقترح ما يلي:

١. تفريغ طاقاتهم في بذل الجهود مع غير المسلمين ثم إفسادها بواسطة مؤسساتنا.

٢. استنفاد جهدهم في طبع وإصدار الكتب الإسلامية مع إحباط نتائجها.

٣. بث بذور الشك والشقاق بين قادتهم لينشغلوا بها عن النشاط المثمر.

بالنسبة للشباب نركز على ما يلي:

١ . تعميق الخلافات المذهبية والفرعية وتضخيمها في أذهانهم.

٢ . تفتيت التجمعات والجماعات الإسلامية المختلفة وبث التنازع داخلها وفيما بينها.

٣ . استمرار المؤسسات التعليمية في مختلف مراحلها في حصار الجماعات الإسلامية والتضييق عليها والتقليل من نشاطها.

---

(١) تُنشر بعض التقارير الوهمية أحيانا رغبة من واضعيها في أن تقع هذه التقارير بأيدي الدعاة لغرض بث الرعب في قلوبهم وتوهين عزائمهم حتى يتوقفوا عن مواصلة جهودهم، مع أن هذه الخطط لن تنفذ، على أن المسلم مطالب في كل الأحوال بأخذ الحيطة والحذر، وتوقع قيام هؤلاء الأعداء بالتخطيط لإيصال صنوف الأذى للمؤمنين، وأن يكون له قدوة في من قال الله تعالى فيهم: {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم} آل عمران (١٧٣-١٧٤)

هذا ما نراه من مقترحات حلا لمشكلة التجمعات الإسلامية في هذه الفترة الدقيقة وفي حالة اقتناعكم بها نرجو توجيه النصح للجهات المعنية للمبادرة بتنفيذها مع استعدادنا هنا للقيام بالدور اللازم في التنفيذ(١).

وفي تقرير آخر يظهر فيه التحالف والتعاون بين العلمانيين واليهود والنصارى لمحاربة الدعوة الإسلامية.

يقول التقرير: بعد دراسة واستعراض الوسائل التي استعملت والنتائج التي تم الوصول إليها بخصوص مكافحة ومتابعة الجمعيات الدينية بالكليات الجامعية والمعاهد والمدارس وأئمة المساجد المشهورين من ذوي الشعبية الملموسة.

نصت الخطة على عدة توصيات، من أهمها ما يلي:

مضاعفة الجهود المبذولة في سياسة العمل الدائم على فقدان الثقة بينهم وتحطيم وحدتهم بشتى الوسائل وخاصة بكتابة تقرير بخطهم عن زملائهم، ثم مواجهة هؤلاء الزملاء بهذه التقارير مع الحرص الشديد على منع كل من الأطراف من لقاء الآخر.

أما رؤوس الجماعة فقد أولتهم الخطة اهتماما خاصا وأوصت باتخاذ عدة إجراءات، لإضاعة جهودهم وعدم تمكينهم من توجيه أعضاء الجماعة لفعل ما يطلب منهم، ومن هذه الإجراءات ما يلي:

(أولا) الرؤوس الأيديولوجية الموجودة تستعمل معهم السياسة لتهدئة مريديه من وقت لآخر حتى تكشف كل العناصر الجديدة، ثم يوقع بينه وبينها.

(ثانيا) الرؤوس الجديدة التي بدأت تظهر تستعمل معها وسائل إغراء وذلك بتعريضهم للحياة العصرية هم وذويهم بحفلات ودعوات ويوعدون بوظائف راقية أو صفقات أو مشاركات ....إلخ، فمن تجاوب منهم يستفاد منه، ويضم لحزب الحكومة، ومن لم يتجاوب تعرقل وظائفهم وترقيتهم أو توصى بهم لجنة الضرائب والمباحث الجنائية أو تؤخر تسهيلاته الزراعية كل حسب مهنته.

ب – السعي للتفريق بين الدعاة والحكومات الإسلامية:

فيما يتعلق بالتفريق بين الحكومات في البلاد الإسلامية والدعاة إلى الله استخدم الغرب شتى الوسائل لتحقيق هذا الغرض، وللأسف أن جهوده آتت ثمارها فنجح في إيجاد هوة سحيقة بين الأنظمة الحاكمة في كثير من البلاد الإسلامية والحركات الإسلامية القائمة في تلك البلاد وعمل على تعميق الخلاف بين الجانبين، وصوَّر تلك الحركات بصورة العدو المتربص بتلك الحكومات

---

(١) انظر مجلة المجتمع الكويتية عدد ٤٢٨ تاريخ ١٣٩٩/٢/١٧هـ

الذي يسعى لإزالة تلك الأنظمة، بهدف الاستيلاء على دفة الأمور في تلك البلاد، وقُدمت الصحوة الإسلامية من خلال مجموعة من المصطلحات التي ولدت في بيئة الغرب وحُمِّلت بمعانٍ ومفاهيم متأثرة بتجارب الغرب وقيمه ونظرته للدين والحياة، وأهم هذه المصطلحات ما يسمى بالأصولية والذي يعني في بيئته الأصلية فِرقة من البروتستانت تؤمن بالعصمة الحرفية لكل كلمة لما يسمى (بالكتاب المقدس) ويدَّعي أفرادها التلقي المباشر عن الله ويعادون العقل والتفكير العلمي ويميلون إلى استخدام القوة والعنف لفرض مايعتقدون(١).

ومع أن هذا المصطلح غربي النشأة وهو رد فعل لتصرفات رجال الدين النصارى ولا يمكن تعميمه على بلاد أخرى ذات عقائد وثقافات مختلفة، إلا أن الغرب طبق هذا المصطلح على غير النصارى، فكل مسلم يدعو إلى الله تعالى ويطالب بتحكيم شرعه في كافة نواح الحياة فهو في نظرهم أصولي بما تحمله هذه الكلمة من معنى عند واضعيها، بينما لا يفهم من كلمة أصولي عند المسلمين إلا من كان متخصصا في علم أصول الفقه، ويستغرب أحد الكتاب الغربيين وهو (جيل كيبل) إطلاق هذا الوصف على غير النصارى، ويعزو جهل الغربيين بمعرفة حقيقة الحركات الإسلامية إلى كون الغرب ينظر إليها بمنظار غربي فيقول: حين يُنظر إلى أحداث العالم الإسلامي من باريس أو نيويورك فإنما تُرد إلى ما يسمى الأصولية الإسلامية، وهي مقولة ولدت في العالم الكاثوليكي والبروتستانتي على التوالي، وإن استخدامها على سبيل الاستعارة أو المجاز لا يعني أن لها قيمة كونية مسكونية شاملة، بل إني على العكس من ذلك، أعتقد أنهما يعيقان معرفتنا بتلك الظاهرات في مجملها، ثم إن عجزنا الإجمالي عن تفسير أو تأويل الحركات الإسلامية اليوم إنما يعود إلى حد بعيد إلى استخدامنا لهذه النظارات النظرية القديمة التي نضعها على أعيننا لأننا لا نجد في عجالة أمرنا خيرا منها، لكن كل ما تقوم به هو زيادة التشويش في إدراكنا، لقد حان الحين للبدء بقبول التحدي الذي تطرحه الحركات الدينية المعاصرة على طرق تفكيرنا التقليدية(٢).

ولذلك فإن هذا الكاتب لا يتفق مع أمثاله من الكتاب الغربيين في محاولاتهم لوصف دعاة الإسلام الذين ينادون بالعودة إلى تحكيم شرع الله في كافة شئون الحياة بالأصولية بمفهومها الغربي فهو يعترف بشمول الإسلام، وأن تركيز الدعاة على بعض تعاليمه التي قصَّرَ الناس في تطبيقها لا يعني الاكتفاء بها، فيقول: إن انبعاث الإسلام في شكله السياسي لم يكن سوى الجزء

---

(١) انظر الأصولية في العالم العربي ص (١٢) المترجم

(٢) يوم الله، الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث ص (١١) جيل كيبل . ترجمة. نصير مروة دار قرطبة ط (١) ١٩٩٢م

المرئي من حركة عميقة واسعة تجهد لإعادة الإسلام إلى الحياة اليومية والعادات، ولإعادة تنظيم الحياة الفردية انطلاقا من النصوص المقدسة(١).

وبما أن الحضارة الغربية حضارة علمانية ذات ملامح نصرانية ويهودية، وللإسلام تصور مختلف للقيم العلمانية ولمعظم ما جاءت به النصرانية واليهودية المحرفتان، فالإسلام إذن يقف في الضرورة في الخط المقابل للغرب، ويقف عائقا أمام تحقيق الغرب لكثير من أهدافه، فلا بد إذن من مكيدة لإشغال المسلمين بأنفسهم وتحييد الإسلام عن حلبة الصراع مع الغرب، ولاشك أن الحضارة الغربية تعيش في هذا العصر أوج قوتها، وما تطرحه من أفكار فهي الأفكار التي تلقى رواجا، خدمها في ذلك الإعلام العالمي الذي تتولى مركز القيادة فيه، وعن طريق تصدير مصطلح الأصولية إلى العالم الإسلامي، استطاع الغرب أن يحقق كثيرا من مآربه ونال الدعاة بسبب ذلك شر عظيم.

إن الغرب يرى في الإسلام عدوا لا يمكن مهادنته، لكنه يعلم أن التصريح بعداوته ربما أدى إلى كسب عداوة كافة المسلمين مما سيعوقه عن تحقيق كثير من أهدافه، فسعى إلى إلباس المسلم الداعية إلى الله ثوب الأصولية الغربية، وزعم أنه لا يعادي الإسلام كدين وحضارة ولكنه يعادي فئة من المسلمين وهم الأصوليون، ونجح في إقناع كثير من الأنظمة الحاكمة في كثير من البلاد الإسلامية بأن هذه الطائفة تشكل خطرا على وجوده وتقف عائقا أمام تقدمه وأنها تفهم الدين فهماً خاطئا ، ولابد من محاربة هذه الفئة وعدم تمكينها من تحقيق أهدافها، حتى لا تكون العلاقة بينها وبين الدعاة علاقة تعاون وإخاء وتعاون على الخير، وإنما على العكس من ذلك تنافر وبغضاء وعداء.

---

(١) المرجع السابق ص (١٦)

٢- المبحث الثالث: كيد المنافقين

مع شدة عداوة المشركين وأهل الكتاب للمؤمنين، وكيدهم المتواصل للدعوة، إلا أن عداوتهم تهون أمام عداوة المنافقين، ذلك لأن هؤلاء عداوتهم للمؤمنين معلومة، وموقفهم من الدين ظاهر، وأخذ الحذر منهم متيسر، أما المنافقون فهم يتظاهرون بالإيمان ليوهموا المؤمنين بأنهم منهم فيأمنوا جانبهم، ويفضوا إليهم بخاصة أمورهم، يسترون ظاهرهم بالإيمان وقلوبهم ولاؤها للكافرين قال تعالى مبينا حالهم:{وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون}(١) أي نتخذ هؤلاء الذين نصانعهم بإظهار الإيمان هزوا ونستخف بهم(٢).

ولذلك أمر الله أولياءه بأخذ الحيطة والحذر منهم لأن عداوتهم مستترة، يحسبهم الجاهل بحقيقة أمرهم من المؤمنين، وهم في الحقيقة أول المعادين قال تعالى:{هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون}(٣).

فهم الأعداء الألداء في عداوتهم لكونهم يظهرون غير ما يبطنون، وهم الأعداء على الحقيقة وذلك لأن العدو البارز المتميز، أهون من العدو الذي لا يشعر به، فهو مخادع يزعم أنه ولي، لكنه العدو المبين(٤).

ولما كان هذا حالهم جلى الله أمرهم وكشف أسرارهم وهتك أستارهم ليكون المؤمنون منهم على حذر.

أنواع النفاق:

المنافقون الذين يتناولهم الحديث ليسوا صنفا واحدا بل منهم من يبلغ به النفاق إلى الكفر ومنهم من نفاقه دون ذلك، وقد قسم العلماء النفاق إلى:

- اعتقادي: وهو النفاق في أصل الدين، وهو النفاق الأكبر الذي يكون صاحبه كافرا في حقيقة حاله منتسبا إلى الإسلام في ظاهره، وهو الذي يخلد صاحبه في النار

---

(١) سورة البقرة (١٤)

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/١٢٤)

(٣) المنافقون (٤)

(٤) انظر فتح القدير (٥/٢٣١) وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٧/٣٨٧)

– عملي: وهو نفاق العمل الذي لا يكون في أصل الدين، وصاحبه لايكون كافرا خارجا عن الإسلام في حقيقته، بل يكون عاصيا أوفاسقا أو محبطا بنفاقه عمله، وهو من أكبر الذنوب(١).

قال الكرماني(٢): النفاق علامة عدم الإيمان، أو ليعلم منه أن بعض النفاق كفر دون بعض، والنفاق لغة: مخالفة الباطن للظاهر، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر وإلا فهو نفاق العمل، ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه(٣).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: لم يكن المتهمون بالنفاق نوعا واحدا، بل فيهم المنافق المحض، وفيهم من فيه إيمان ونفاق، وفيهم من إيمانه غالب، وفيه شعبة من النفاق.

والنفاق كالكفر نفاق دون نفاق، ولهذا كثيرا ما يقال: كفر ينقل عن الملة وكفر لا ينقل ونفاق أكبر ونفاق أصغر(٤).

ومن أهم أسباب تفاوت الأذى الذي يصل إلى الدعاة من المنافقين، نوع النفاق الذي يدفع هؤلاء المنافقين لإيذاء الدعاة، فمن كان نفاقه نفاق اعتقاد فكيده للدعوة ينطلق من بغضه للدين وكراهيته لعلو دين الرسولﷺ.

ومن كان نفاقه نفاق عمل فأذاه يتفاوت قدره، حسب ما عنده من شعب النفاق

وأحيانا قد يحدث التعاون بين الفئتين مع تفاوت الحكم عليهم، وذلك بسبب ضعف الإيمان وتعدد شعب النفاق لدى الفئة الثانية.

خطر النفاق:

يقول الإمام ابن القيم في بيان حال المنافقين وشدة خطرهم على الإسلام والمسلمين: إن بلية الإسلام بهم شديدة جدا لأنهم منسوبون إليه، وإلى نصرته وموالاته، وهم أعداؤه في الحقيقة يُخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وإصلاح، وهو غاية الجهل والإفساد.

فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه؟! وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه؟! وكم من علم له قد طمسوه؟! وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه؟! وكم ضربوا بمعاول الشبه في أصول غراسه ليقلعوها؟! وكم عَمُّوا عيون موارده بآرائهم ليدفنوها ويقطعوها؟!.

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم (٤٧/١) وظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ (٧٢/١)

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن أمير ويه، فقيه حنفي، مفتي خراسان، ولد بكرمان سنة ٤٥٧هـ. وتفقه بمرو على محمد بن الحسين القاضي، وبرع وانتشرت مذاهبه، وبعد صيته، مات بمرو سنة ٥٤٣هـ. نظر سير أعلام النبلاء (٢٠٦/٢٠) والأعلام(٣٢٧/٣)

(٣) فتح الباري(١١١/١)

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية(٥٢٣/٧ . ٥٢٤)

فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبلية ولا يزال يطرقه من شبههم سرية بعد سرية ويزعمون أنهم بذلك مصلحون {ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون}(١) {يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون}(٢).

اتفقوا على مفارقة الوحي فهم على ترك الاهتداء به مجتمعون {فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون}(٣).

لم يقبلوا هدى الله الذي أرسل به رسوله ولم يرفعوا به رأسا ولم يروا با الإعراض عنه إلى آرائهم وأفكارهم بأسا.

لبسوا ثياب أهل الإيمان على قلوب أهل الزيغ والخسران والغل والكفران، فالظواهر ظواهر الأنصار، والبواطن قد تحيزت إلى الكفار.

لكل منهم وجهان: وجه يلقى به المؤمنين، ووجه ينقلب به إلى إخوانه من الملحدين، وله لسانان: أحدهما يقبله بظاهره المسلمون، والآخر يترجم به عن سره المكنون.

يتربصون الدوائر بأهل السنة والقرآن فإن كان لهم فتح من الله، قالوا ألم نكن معكم؟ وأقسموا على ذلك بالله جهد أيمانهم، وإن كان لأعداء الكتاب والسنة من النصرة نصيب قالوا ألم تعلموا أن عقد الإخاء بيننا محكم، وأن النسب بيننا قريب(٤).

ومن كانت هذه حالهم وصفاتهم فليس بمستغرب منهم الحرب الدائمة للدعوة والسعي للتفريق بين الدعاة وإثارة الاختلاف بينهم.

ومن تدبر السيرة النبوية ووقف على صنيعهم مع النبي ﷺ وسعايتهم الدائمة للإيقاع بين أصحابه، وحياكتهم للمؤامرات تباعا، واستغلال الفرص كلما سنحت لتحقيق أهدافهم الخبيثة، تبين له مدى ما يشكلونه من خطر في صفوف المسلمين وما يخصون به الدعاة من نصيب وافر من أذيتهم التي آلوا على أنفسهم الاستمرار عليها.

وسنذكر فيما يلي نماذج من أفعالهم ومؤامراتهم التي قاموا بها في عهد النبيﷺ وبعده، مما يدل على تشابه قلوبهم ووحدة أهدافهم، وإن باعد بينهم الزمان وتناء بهم المكان، واختلفت الأسماء والأشخاص، إذ الأهداف واحدة يرثها الخلف عن السلف.

---

(١) سورة البقرة (١٢)

(٢) سورة الصف (٨)

(٣) سورة المؤمنون (٥٣)

(٤) انظر مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/٣٥٥-٣٥٩) للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، ت: محمد المعتصم بالله، دار النفائس ط (١) ١٤١٠هـ

المنافقون في عصر النبوة:

لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وأسلم من أسلم من قبيلتي الأوس والخزرج، وقلَّ من أسلم من اليهود، لم يكن إذ ذاك نفاق حيث لم يكن للمسلمين بعدُ شوكة تخاف، فلما كانت وقعة بدر العظمى وأظهر الله كلمته وأعز دينه، قال عبد الله بن أبي بن سلول وكان رأسا في المدينة وهو من الخزرج وكان سيد الطائفتين في الجاهلية، وكانوا قد عزموا أن يملكوه عليهم، فجاءهم الخير فأسلموا واشتغلوا عنه، فبقي في نفسه من الإسلام وأهله، فلما كانت وقعة بدر قال: هذا أمر قد توجه فأظهر الدخول في الإسلام، ودخل معه طوائف ممن هم على طريقته ونحلته، وآخرون من أهل الكتاب، فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب.

روى البخاري في صحيحه عن أسامة بن زيد(١) «أن رسول الله ﷺ ركب على حمار عليه قطيفة فدكية وأسامة وراءه، يعود سعد بن عبادة(٢) في بني حارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، فسارا حتى مرا بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفي المسلمين عبد الله بن رواحة(٣)، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر ابن أبي أنفه بردائه وقال: لا تُغَبِّروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن فقال له عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء لا أحسن مما تقول إن كان حقا، فلا تؤذنا به في مجالسنا فمن جاءك فاقصص عليه، قال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا، ثم ركب رسول الله ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال رسول الله ﷺ: أي سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب يريد عبد الله بن أبي قال: كذا وكذا، فقال سعد بن عبادة: أي رسول الله بأبي أنت اعف عنه واصفح، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك ولقد اصطلح أهل هذه

---

(١) هو الحب ابن الحب، أسامة بن زيد بن حارثة، ولد بمكة ونشأ على الإسلام وهاجر مع النبي ﷺ وأمره النبي ﷺ قبل أن يبلغ العشرين من عمره فكان موفقا، ولما توفي رسول الله ﷺ رحل أسامة إلى وادي القرى فسكنه ثم انتقل إلى دمشق في أيام معاوية ثم عاد إلى المدينة فأقام بها إلى أن مات سنة ٥٤هـ انظر سير أعلام النبلاء (٢/٤٩٦-٤٩٧) و البداية والنهاية (٨/٧٣) والأعلام للزركلي (١/٢٩١)

(٢) سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، أبو ثابت، سيد الخزرج، شهد العقبة وكان أحد النقباء، واختلف في شهوده بدرا، خرج إلى الشام ومات بحوران سنة ١٥هـ وقيل سنة ١٤هـ. انظر سير أعلام النبلاء (١/٢٧٠-٢٧١، ٢٧٧) والإصابة (٣/٦٥-٦٧) وتهذيب التهذيب (٢/٢٧٩)

(٣) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، كان أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة سنة ٨هـ انظر سير أعلام النبلاء (/٢٣٠.٢٣١) والإصابة (٤/٨٢.٨٦) وتهذيب التهذيب(٣/١٤٠)

البحرة(١) على أن يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك فذلك فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى، قال الله تعالى:{ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور }(٢) الآية، وقال:{ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيئ قدير}(٣) فكان رسول الله ﷺ يتأول في العفو عنهم ما أمره الله به، حتى أذن له فيهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرا فقتل الله بها من قتل من صناديد الكفار وسادة قريش فقفل رسول الله ﷺ وأصحابه منصورين غانمين معهم أسارى من صناديد الكفار وسادة قريش قال ابن أبي ابن سلول ومن معه من المشركين عبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام فأسلموا(٤).

وبعد أن دخل ابن أبي في الإسلام ظاهرا بدأ يمارس دوره ويوجه أتباعه الذين هم على شاكلته للقيام بالدور الذي كلفوا أنفسهم القيام به، من الكيد للإسلام وهم ضمن صفوفه يتظاهرون للمؤمنين بالأخوة الإيمانية ويسرون إلى أعداء الله بالمودة، لا يألون المؤمنين خبالا، ويتربصون بهم الدوائر، فجاءت مؤامراتهم تترا كلما كفى الله المؤمنين شر واحدة تلتها أخرى.

ومن أول المواقف التي نجم فيها النفاق وتجلى فيها دور المنافقين ورغبتهم في خذلان المؤمنين وإسلامهم لعدوهم، ماجرى منهم في غزوة أحد، فإنه لما غزا المشركون المدينة رغبة في نيل ثأرهم من النبي ﷺ وأصحابه لما أصابهم في بدر وأصبحوا على مشارفها وكان النبي ﷺ يرى في المقام المدينة والتحصن بها، فإن دخلها المشركون عليهم قاتلوهم، ورأى رأيه شيوخ المهاجرين والأنصار وكذلك عبد الله بن أبي بن سلول كان يرى هذا الرأي، لكن الكثيرين من أصحاب النبي ﷺ لاسيما الشباب ممن لم يشهد بدرا قالوا: يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا ولا يرون أنا جَبُنَّا عنهم

---

(١) قال ابن منظور البحرة الأرض والبلدة، يقال: هذه بحرتنا أي أرضنا، واستشهد ابن منظور بالحديث على استعمال العرب لهذه الكلمة في هذا المعنى وقال: البحيرة مدينة رسول الله ﷺ وهي تصغير البحرة وقد جاء في رواية مكبرا، والعرب تسمي المدن والقرى البحار، والبحرة الفجوة من الأرض تتسع، وقال مرة: البحرة الوادي الصغير يكون في الأرض الغليظة، والبحرة الروضة العظيمة مع سعة وجمعها بِحَرٌ وبِحَارٌ، وقال الأزهري يقال: للروضة بحرة وأبحرت الأرض إذا كثرت مناقع الماء فيها. لسان العرب (٤/٤٥)

(٢) سورة آل عمران (١٨٦)

(٣) سورة البقرة (١٠٩)

(٤) رواه البخاري واللفظ له،كتاب الأدب، باب كنية المشرك، رقم الحديث (٦٢٠٧) ومسلم،كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين، رقم الحديث (١٧٩٨) والإمام أحمد (٥/٢٠٣)

وضعفنا.

وصلى رسول الله ﷺ بأصحابه الجمعة ووعظ الناس وذكرهم وحثهم على الثبات والصبر، ثم دخل بيته فلبس لأمته ثم خرج عليهم فلما رآه الذين أشاروا بالخروج ندموا وقالوا: استكرهناك ولم يكن لنا ذلك، يا رسول الله إن شئت فاقعد، فقال: ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل أو يحكم الله بينه وبين أعدائه، فخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه من بينهم عبد الله بن أبي ومن معه من أهل النفاق.

وهل يُتصور أن يساهم المنافقون في نصرة الدين ويحاربون المشركين وهم أولياؤهم من دون المؤمنين، فلا بد إذن من مكيدة للتخلي عن نصرة المؤمنين، وإثارة البلبلة في صفوفهم، وقد وجد ابن أبي المبرر لذلك وهو أن النبي ﷺ أخذ برأي الشباب وعصاه، فقرر التراجع فتبعه ثلث الجيش.

وأنى لمؤمن خالط الإيمان بشاشة قلبه أن يكون له الخيرة من أمره، وقد قضى الله ورسوله أمرا، ولكنه القلب الذي مرد على النفاق لا تستعصي عليه المعاذير وإن كانت واهية، وحين لحق بهم عبد الله بن عمرو بن حرام(١) يوبخهم ويحضهم على الرجوع، ويقول تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أنه يكون قتال، فلما استعصوا عليه قال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم نبيه، وفيهم نزل قول الله تعالى: {وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين، وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون)}(٢).

وكادت مكيدة المنافقين أن تنجح حيث اغتر بهم بعض المؤمنين فكادت طائفتان منهم أن تفشلا وهما بنو سلمة وبنوا حارثة ولكن الله ثبتهما وعصمهما من الخذلان وفي ذلك يقول تعالى:{إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون}(٣).

ومن حكمة الله تعالى أن قدر وقوع ما جرى من المنافقين لنبيه ﷺ وتنزلت آيات الكتاب تفضح المنافقين وتبين دسائسهم وخبايا نفوسهم، وذلك ليعلم الدعاة أن لهم أعداء ظاهرهم أنهم منهم، وهم في الحقيقة يؤدون أدوارا الغاية منها تفريق صف المؤمنين وإثارة النزاع بينهم، وربما خفي أمرهم فترة من الزمن حتى إذا سنحت لهم الفرصة أطلوا رؤوسهم وتكلموا بما كانوا يكتمونه وعاد تلويحهم

---

(١) عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، والد جابر بن عبد الله، من أهل العقبة وبدر، أحد النقباء، استشهد بأحد سنة ٣هـ، انظر سير أعلام النبلاء (١/٣٢٤-٣٢٨) الإصابة (٤/١٨٩-١٩٠)

(٢) سورة آل عمران (١٦٦-١٦٧)

(٣) سورة آل عمران (١٢٢)

تصريحا وظهرت مخبآتهم.

١- اختلاق الأراجيف لصرف الدعاة عن مهامهم وإفساد ذات بينهم:

من حكمة الله تعالى أنه إذا اراد أمرا جعل له سببا، فمع شناعة مقالة أهل الإفك إلا أنها كانت سببا في خير عظيم لقد تضمنت الآيات التي أنزلها الله تعالى لتبرئة أم المؤمنين مما رماها به أهل الإفك أحكاما العمل بها إلى يوم القيامة.

إن اختيار أهل الإفك لعائشة رضي الله عنها أمر مقصود لذاته، فقد كان في حسبانهم أنها زوجة رسول الله ﷺ وأرادوا من وراء ذلك تحقيق أهداف منها:

- إشغال النبي ﷺ بأمر لا يستطيع أن يغفل عنه أو يتناساه، ألا وهو عرضه.
- أن المنافقين لا يفتئون ينتهزون كل حدث للإفساد وشق صفوف المسلمين وتمزيق وحدتهم بما ينشرونه من أنواع الأكاذيب والأراجيف والإفك.

وحاصل حديث الإفك أن رسول اللهﷺ كان قد خرج بعائشة رضي الله عنها في غزوة بني المصطلق، فلما رجعوا من الغزوة نزلوا في بعض المنازل فانقطع عقدها فانحبست في طلبه، فجاء النفر الذين كانوا يرحلون هودجها فظنوها فيه، فحملوا الهودج ولم يفقدوها، ثم استقل الجيش راحلا، وجاءت مكانهم وعلمت أنهم إذا فقدوها رجعوا إليها فغلبتها عيناها فنامت فلم تستيقظ إلا بقول صفوان بن المعطل[١]: إنا لله وإنا إليه راجعون، زوجة رسول الله ﷺ وأناخ راحلته فقربها إليها فركبتها، وما كلمها كلمة واحدة ولم تسمع منه إلا استرجاعه ثم ثار بها يقودها حتى قدم بها.

وقد نزل الجيش في الظهيرة، فلما رأى ذلك الناس، تكلم كل منهم بشاكلته وما يليق به ووجد الخبيث عبد الله بن أبي متنفسا، فتنفس من كرب النفاق والحسد الذي بين ضلوعه فجعل يستحكي الإفك ويستوشيه ويشيعه ويذيعه، ويجمعه ويفرقه، وكان أصحابه يتقربون به إليه، فلما قدموا المدينة أفاض أهل الإفك في الحديث وتلقفته الألسن، حتى اغتر بذلك بعض المؤمنين وصاروا يتناقلون هذا الكلام[٢].

---

(١) صفوان بن المعطل، بن رخصة بن خزاعي، أبو عمرو، المذكور بالبراءة من الإفك، قال فيه النبيﷺ « ما علمت عليه إلا خيرا » أسلم قبل المريسيع، وكان على ساقة النبيﷺ، من سادات المسلمين قيل إنه قتل شهيدا في غزوة أرمينية سنة ١٩هـ في خلافة عمر، وقيل مات سنة ٦٠ هـ. قال الإمام الذهبي: فهذا تباين كثير في تاريخ موته فالظاهر أنهما اثنان. انظر سير أعلام النبلاء (٢/٥٤٥-٥٥٠) والبداية والنهاية (٨/١٥٦) و الإصابة (٣/٤٤٠-٤٤٢)

(٢) انظر زاد المعاد (٣/٢٥٩-٢٦٠) وتيسير الكريم الرحمن (٥/٣٦٤-٣٦٥)وأخرج خبر الإفك بطوله البخاري في مواضع من صحيحه منها الحديث رقم (٤٧٥) ومسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، رقم الحديث (٢٧٧٠)

وساء رسولَ الله ﷺ تلقي الألسنة لهذا الحديث وعلم أن الذي أبدى فيه وأعاد وتولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول فقال: من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي؟ فو الله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي، قالت: فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله أنا والله أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن أخذته الحمية فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن حضير(١) ﷺ وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان الأوس والخزرج، حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا ونزل(٢).

وقد استدرك الإمام ابن القيم على من قال إن الذي أجاب رسول الله ﷺ حين قال: من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي سعد بن معاذ، وذلك لأن سعد لا يختلف أحد من أهل العلم أنه توفي عقب حكمه في بني قريظة بعد الخندق وذلك سنة خمس على الصحيح، وحديث الإفك لا شك أنه في غزوة بني المصطلق، والجمهور عندهم أنها كانت بعد الخندق سنة ست، وعند ابن إسحاق أن الذي أجابه أسيد بن حضير ولم يذكر سعد بن معاذ(٣).

وهذا النزاع الذي نشب بين أصحاب رسول الله ﷺ وكاد أن يتطور، أثر من آثار حديث الإفك، وهدف من أهداف المنافقين الذين لا يكلون سعيا في التفريق بين الدعاة وإيجاد أسباب النزاع بينهم، لكن المقصود الأول بالأذى هو رسول الله ﷺ الذي رميت زوجته، يقول الأستاذ سيد قطب: لم يكن الأمر أمر عائشة رضي الله عنها ولا قاصرا على شخصها فلقد تجاوزوها إلى شخص الرسول ﷺ ووظيفته في الجماعة يومها، بل تجاوزوه إلى صلته بربه ورسالته كلها، وما كان حديث الإفك رمية لعائشة وحدها، إنما كان رمية للعقيدة في شخص نبيها وبانيها، من أجل ذلك أنزل الله القرآن ليفصل في القضية المبتدعة ويرد المكيدة المدبرة، ويتولى المعركة الدائمة ضد الإسلام ورسول الإسلام، ويكشف عن الحكمة العليا وراء ذلك كله وما يعلمها إلا الله(٤).

---

(١) أسيد بن الحضير بن سماك الأنصاري من الأوس، من السابقين إلى الإسلام، أحد النقباء ليلة العقبة، قيل إنه أسلم على يد مصعب بن عمير، ولما هاجر النبيﷺ آخى بينه وبين زيد بن حارثة، قال فيه النبيﷺ «نعم الرجل أسيد بن حضير» مات بالمدينة سنة ٢٠هـ ودفن بالبقيع. انظر سير أعلام النبلاء(١/٣٤٠-٣٤٣) و البداية والنهاية (٧/١١٦) و الإصابة (١/٨٣-٨٤)

(٢) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (٢/٢٦١)

(٣) زاد المعاد (٣ /٢٦٥-٢٦٦)

(٤) في ظلال القرآن (٤/٢٥٠٠)

ومن حكمة الله تعالى أن قدر وقوع ما جرى من المنافقين لنبيه ﷺ وتنزلت آيات الكتاب تفضح المنافقين وتبين دسائسهم وخبايا نفوسهم، وذلك ليعلم الدعاة أن لهم أعداء ظاهرهم أنهم منهم وهم يؤدون أدوارا كلفوا أنفسهم القيام بها، ليس لهم غاية إلا تفريق صف المؤمنين وإثارة النزاع بينهم وربما خفي أمرهم فترة من الزمن حتى لاحت لهم الفرصة فأطلعوا رؤوسهم وتكلموا بما كانوا يكتمونه وعاد تلويحهم تصريحا وظهرت مخبآتهم.

٣- استغلال الأخطاء التي يحتملها كلام الدعاة أو فعلهم:

إن المنافقين حين يحاربون الدعاة لا يعلنون الحرب صراحة فيكشفون عن حقيقة نواياهم ولكنهم يبحثون عن ستار يستترون خلفه فيظن من يسمع كلامهم ويقرأ مقالهم أنهم ناصحون مشفقون، إن سلالتهم ممتدة لم تنقطع بعد، فطالما نالوا من أعراض الدعاة وتكلموا فيهم بقبيح الكلام، وحين يقال لهم ألا تشتغلون بأعداء الدين الذين لا يُشك في عداوتهم كاليهود والنصارى والرافضة والعلمانيين، يزعمون أن هؤلاء أمرهم ظاهر ومكشوف فيقولون: لا ننشغل بهم بل ننشغل بالدعاة إلى الله لنبين أخطاءهم لأنها تخفى على الناس.

لذا تراهم يحرصون على الوقوف على أخطاء الدعاة ويحفظون زلاتهم لا بقصد التحذير من هذه الأخطاء والنصح لمن وقعوا فيها ولكن بقصد التنفير من الدعاة وتحذير المسلمين من الإقبال على دروسهم والاستفادة من علمهم وغمط فضائلهم، وأي فساد أعظم من هذا {وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون}(١).

وهل سلم أحد بعد المعصوم ﷺ من الخطأ والوقوع في الزلل وما أحسن قول مجاهد رحمه الله: ليس أحد من خلق الله إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ(٢).

وحسب المنصف أن يعترف لأهل الفضل بفضلهم، وإن وقف على شيء من أخطائهم بينه بأسلوب الناصح المشفق، أما من افترض فيهم العصمة والسلامة من الخطأ فقد طلب المحال، وكم من عالم رخص في مسألة خالف وجانب فيها الصواب، فهل تطرح بذلك أقواله وتسقط عدالته، مع الجزم بخطئه، يقول إبراهيم التيمي(٣): لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله(٤).

---

(١) سورة البقرة (١١-١٢)

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٩٢٦/٢)

(٣) الإمام القدوة الفقيه إبراهيم بن يزيد التيمي، كان قانتا لله صالحا عالما فقيها، كان أبوه من أئمة الكوفة، حبسه الحجاج حتى مات سنة ٩٢هـ وقيل ٩٤هـ. انظر سير أعلام النبلاء (٦٠/٥-٦٢) وتهذيب التهذيب(١١٥/١)

(٤) جامع بيان العلم وفضله (٩٢٧/٢)

ألا يشبه حال هؤلاء من قال فيهم رسول الله ﷺ «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»(١).

وما أحوج الدعاة إلى الله إلى تدبر كتاب الله تعالى وآياته التي فضحت المنافقين وبينت عوارهم لاسيما سورة التوبة التي سميت الفاضحة لأنها أظهرت كثيرا من مخبآتهم، فكم من موقف لمنافقي الأمس الذين تنزلت الآيات لفضحهم يذكر بما يقوم خلفُهم اليوم، لقد كان من شأن منافقي الأمس الحكم على نيات الدعاة وإساءة الظن بأعمالهم قال تعالى:{الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم}(٢).

روى البخاري عن أبي مسعود البدري(٣) قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مراء، وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا إن الله لغني عن صاع هذا فنزلت {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم}(٤) الآية.

وكذلك خلَفُهم اليوم، فمن كان من الدعاة ظاهره السنة والدعوة إلى منهج السلف فحكمهم عليه بأنه يتوصل بهذه الدعوة إلى هدم السنة ومخالفة منهج السلف.

ومن أخطأ من الدعاة متأولا أو جاهلا فهو حلال العرض عندهم يطلقون لألسنتهم العنان لإلباسه شتى التهم.

لقد كان المنافقون في عهد رسول الله ﷺ يُشَاهَدون وهم يؤدون العبادات مع المؤمنين من صلاة وصدقة وجهاد مع تثاقل في أداء الصلاة وكراهية للإنفاق في سبيل الله تعالى، وخروج للجهاد مع النبيﷺ، ورغبة في تحصيل منافع دنيوية وسعي للإفساد والتفريق بين المؤمنين، وكم تفضل الله على عباده المؤمنين وكفاهم شر هؤلاء الأعداء حين منعهم من الخروج معهم وبين الحكمة من ذلك حيث قال تعالى{ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين، لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم

---

(١) رواه والبخاري واللفظ له، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى(تعرج الملائكة والروح إليه) رقم الحديث (٧٤٣٢) ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم الحديث(١٠٦٤)والنسائي،كتاب الزكاة، باب المؤلفة قلوبهم، رقم الحديث (٢٥٧٧) الإمام أحمد (٦٨/٣و٧٣)

(٢) سورة التوبة (٧٩)

(٣) عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري، روى عن النبي ﷺ، شهد العقبة واختلف في شهوده بدرا، قيل إنه نزل ماء بدر فشهر بذلك، شهد أحدا وما بعدها، نزل الكوفة وكان من أصحاب علي، واستخلف مرة على الكوفة، مات سنة ٤٠هـ. انظر سير أعلام النبلاء (٤٩٣/٢-٤٩٦) والإصابة (٥٢٤/٤) وتهذيب التهذيب (١٥٧/٤-١٥٨)

(٤) رواه البخاري واللفظ له، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، رقم الحديث(١٤١٥) ومسلم،كتاب الزكاة، باب الحمل أجرة يتصدق بها، والنهي الشديد عن تنقيص المتصدق بقليل، رقم الحديث (١٠١٨) والنسائي،كتاب الزكاة، باب جهد المقل، رقم الحديث(٢٥٢٩) وابن ماجة،كتاب الزهد، باب معيشة أصحاب النبي ﷺ، رقم الحديث (٤١٥٥)

والله عليم بالظالمين}(١).

وقد بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات أنه من الخير للمؤمنين ألا يخرج معهم هؤلاء المنافقون وذلك لأسباب منها:

{لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا}

أي لو خرجوا معكم مختلطين بكم ما زادوكم قوة ومنعة بل خرجوا ليدسوا الدسائس ويسرعوا في الفتنة.

. {ولأوضعوا خلالكم} أي ولأسرعوا المشي بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة، وسيستغلون الفرص التي يجدونها لتشكيكم بوعد الله تعالى، وتمزيق وحدتكم، وإضعاف قوتكم، وإثارة الاضطراب والبلبلة بين أفرادكم وأسركم وجماعاتكم.

وقوله:{وفيكم سماعون لهم} أي وفيكم من أهل الإيمان والصلاح من لم يتبينوا أمرهم، أو ليست لديهم حصانة فكرية ونفسية ضد وساوسهم ودسائسهم، فسيحسنون الظن بهم، ويتأثرون بأقوالهم وآرائهم، فمن الخير ألا يختلطوا بكم حتى لا يؤثروا على فريق من أهل الإيمان والصلاح منكم بوساوسهم وتسويلاتهم، وما يقذفونه من دسائس وشبهات وشكوك وإرجاف مغلف بمكر شديد(٢).

ومن الدروس التي ينبغي أن يستفيدها الدعاة من هذه الآيات، أن يعلموا أن العبرة ليست بكثرة المنتسبين إلى الدعوة الذين يدَّعُون الغيرة على الدين ممن تُكذِّب أفعالُهم أقوالَهم، وأن يكون الدعاة منهم على حذر وإن أقسموا الأيمان على صدقهم وصفاء قلوبهم لأن الله تعالى قد كذَّب دعوى أسلافهم حين أقسموا مثل هذه الأيمان فقال تعالى:{ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون، لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون}(٣).

فالذي يضطرهم إلى أن يقسموا الأيمان على نصحهم ويتحدثوا من حين لآخر عن صدق نواياهم هو أنهم يتصرفون تصرفات مريبة تضر بالدعوة وتخدم الأعداء فيخشون أن ينكشف أمرهم.

وهم مع قبح فعالهم حسنة أقوالهم يُشهدون الله على ما في قلوبهم قال تعالى في وصفهم: {ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد، وإذا قيل له اتق الله

---

(١) سورة التوبة (٤٦-٤٧)

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم (٣٦١/٢) وظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ (٢٤٥/٢-٢٤٦)عبد الرحمن الميداني، دار القلم ط(١) ١٤١٤هـ

(٣) سورة التوبة (٥٦-٥٧)

أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد}(١).

أما توليهم مناصب ظاهرها العمل للدين فليست بدليل كاف على صدقهم واستقامة أمرهم، لأنهم يتوصلون بهذه المناصب والأعمال إلى تحقيق ما يريدون، وما قصة مسجد الضرار عنا ببعيد يقول تعالى:{والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون}(٢).

وهذه الآيات نزلت في أناس من المنافقين من أهل قباء اتخذوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء، يريدون به المضارة والمشاحنة بين المؤمنين، ويعدونه لمن يرجونه من المحاربين لله ورسوله، يكون لهم حصنا عند الاحتياج إليه، فبين تعالى خزيهم وأظهر أمرهم فقال تعالى:{والذين اتخذوا مسجدا ضرارا} أي مضارة للمؤمنين ولمسجدهم الذي يجتمعون فيه.

{وَكُفْرًا}أي مقصدهم فيه الكفر.

{وتفريقا بين المؤمنين} أي ليتشعبوا ويتفرقوا ويختلفوا(٣).

لأن الغاية ليست إشادة المباني الحسية وتزيينها ولكن العبرة بما يجري فيها من أعمال، فالبناء الحسي يلاحظ فيه الغاية منه، وهذه الغاية أمر معنوي، إما أن يكون أساسه خير كالتقوى والبر، وإما أن يكون أساسه شر كمسجد الضرار الذي أقامه المنافقون(٤).

وكل بناء يقام أو وظيفة تشغل تحت اسم ظاهرة الخير وحقيقته الإفساد والشر فحكمه حكم مسجد الضرار يجب البعد عنه والتحذير منه، حتى لا يخدع به المؤمنون.

ولا يزال أعداء الإسلام من المنافقين يقيمون أماكن ووظائف باسم الدعوة والعمل للدين، وما هي للدين وإنما هدفها الطعن في الدين وإثارة الشبهات والإفساد ولا يزال الكثير من المسلمين يخدعهم هذا الظاهر.

وما تقدم يعد لمحات موجزة في بيان بعض صفات وأفعال هؤلاء الأعداء، وخشية الإطالة تمنع من سرد المزيد منها، وحسب المتأمل لواقع المسلمين اليوم أن يطلع على كثيرمن حالهم، والله المرجو أن يهتك أستارهم ويكشف أسرارهم ويقي المسلمين شرهم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) سورة البقرة (٢٠٤-٢٠٦)

(٢)سورة التوبة (١٠٧)

(٣) انظر تفسير الكريم الرحمن (٢٩٧/٣)

(٤) انظر ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ (٤١١/٢-٤١٢)

الخاتمة:

أحمد الله تعالى الذي أعانني على كتابة هذا البحث وأسأل الله تعالى أن ينفع به .

فقد حاولت في هذا البحث بيان موقف المنافقين وأهل الكتاب من الدعاة إلى الله تعالى، وذكرت أمثلة لما قام به بعض أهل الكتاب والمنافقين في عهد النبوة من مكائد ومؤامرات لصد الناس عن دين الله تعالى ومن تشكيك للمؤمنين بدينهم .

ثم بينت أن هذه العداوة لم تنته بانتهاء عصر النبوة بل هي باقية مستمرة ما دام فيه إيمان وكفر وحق وباطل ، فذكرت أمثلة من العصر الحديث لبعض ما يقوم به أهل الكتاب من اليهود والنصارى من خطط لإفساد عمل الدعاة وتنفير الناس عنهم وتأليبهم ضدهم .

التوصيات:

أما أهم التوصيات التي أوصي بها كل داعية إلى الله، فتتمثل فيما يلي:

١- في مقدمة الوصايا وأولاها بالعناية ما وصى به الله الأولين والآخرين، فقال سبحانه وتعالى:{ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله}(١)

فالتقوى وصية الله لكل خلقه، وأولى الناس بها الدعاة إلى الله ورثة الأنبياء السائرون على طريقهم، فلا بد أن يكون لهم منها حظ وافر، فالداعية إن اتقى الله حرص أن يكون عمله لله، متبعا لا مبتدعا، يحب في الله ويبغض في الله ويوالي في الله ويعادي في الله.

٢- أن يكون للداعية صلة وثيقة بكتاب الله قراءة وتدبرا وفهما، لأن كتاب الله معين لا ينضب لمن أرد أن يكون عمله صالحا موافقا لهدي النبي ﷺ في دعوته وفي تعامله مع أعداء الدين من أصناف أهل الكفر والنفاق، حتى يضمن بإذن الله تعالى صلاح عمله والسلامة من مكائد أعداء الدين.

٣- الرجوع إلى السيرة النبوية الصحيحة والتعرف عن قرب على دقائق حياة النبي ﷺ ومعرفة هديه في التعامل مع الآخرين في السلم والحرب والشدة والرخاء، وكيف أنه أنزل كل إنسان منزلته اللائقة به، وتصرف في كل موقف التصرف المناسب له، ومع معرفته ببعض أسماء المنافقين التي جاءه بها الوحي من الله تعالى إلا أنه لم يحكم على أحد إلا بما ظهر منه وأبدته فلتات لسانه أو سوء عمله.

وختاما:

فإني أحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم

---

(١) سورة النساء (١٣١)

وإليه المآل، وأسأله وهو خير مسؤل أن يغفر لي زلتي ويقيل عثرتي ويثبت حجتي.

وصلى الله على نبينا محمد وآل وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المراجع :

١. القرآن الكريم
٢. الحديث الشريف
٣. فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ
٤. تفسير القرآن العظيم للحافظ إسماعيل بن كثير دار المعرفة، بيروت (١٤٠٣هـ)
٥. فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني دار الفكر، بيروت ١٤٠٣هـ
٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تحقيق المجلس العلمي بفاس ط (٢) (١٤٠٣هـ) مطابع فضالة، المغرب.
٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف الشيخ عبد الرحمن السعدي طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤١٠هـ
٨. في ظلال القرآن تأليف: سيد قطب . دار الشروق . ط (١٠) (١٤٠٢هـ)
٩. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين.
١٠. انظر مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، ت: محمد المعتصم بالله، دار النفائس ط (١) ١٤١٠هـ
١١. ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ عبد الرحمن الميداني، دار القلم ط (١) ١٤١٤هـ
١٢. السيرة النبوية لابن هشام مكتبة المنار، الطبعة الأولى (١٤٠٩)
١٣. زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام ابن القيم الجوزية ت . شعيب الأرناؤط.ط(٢٦) ١٤١٢هـ مؤسسة الرسالة.
١٤. السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة محمد بن محمد أبو شهبة، دار القلم، ط(١) (١٤٠٩هـ)
١٥. جامع بيان العلم وفضله أبو عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق أبي الأشبال الزهري دار ابن الجوزي الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ
١٦. المستشرقون والإسلام د. عرفان عبد الحميد، المكتب الإسلامي، ط(٢)
١٧. انظر الأصولية في العالم العربي ريتشارد هرير دكمجيان . ترجمة عبد الوارث سعيد . دار

الوفاء الطبعة الأولى ١٤١٠

١٨. يوم الله، الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث جيل كييل . ترجمة. نصير مروة دار قرطبة ط (١) ١٩٩٢م

١٩. انظر مجلة المجتمع الكويتية عدد ٤٢٨ تاريخ ١٣٩٩/٢/١٧هـ

فهرس الموضوعات:

مقدمة: ٤٩٩
تمهيد: ٥٠١
المبحث الأول: كيد أهل الكتاب للدعاة: ٥٠١
الإصرار على العداوة: ٥٠٢
صور من مكائد أهل الكتاب للمؤمنين: ٥٠٦
١ – تشكيك المؤمنين بدينهم: ٥٠٦
٢ – إثارة النعرات الجاهلية: ٥٠٧
٣ – التربص بالمؤمنين: ٥٠٧
ب – المبحث الثاني: مكائد أهل الكتاب في العصر الحديث: ٥١٠
١ – الصحوة الإسلامية في نظر مفكري الغرب: ٥١٠
ب – السعي للتفريق بين الدعاة والحكومات الإسلامية: ٥١٣
٢ – المبحث الثالث: كيد المنافقين ٥١٦
أنواع النفاق: ٥١٦
خطر النفاق: ٥١٧
المنافقون في عصر النبوة: ٥١٩
١ – اختلاق الأراجيف لصرف الدعاة عن مهامهم وإفساد ذات بينهم: ٥٢٢
٢ – استغلال الأخطاء التي يحتملها كلام الدعاة أو فعلهم: ٥٢٤
الخاتمة: ٥٢٨
التوصيات: ٥٢٨
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ٥٢٩
ثبت المراجع : ٥٣٠
فهرس الموضوعات: ٥٣٢